

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
ARAB CENTER FOR RESEARCH & POLICY STUDIES



ملفات

إيران و المقاومة الفلسطينية:

معادلة الأيديولوجيا و المصالح

د. فاطمة الصمادي

سلسلة (ملفات)

ملخص البحث:

مع بدء الحملات الإنتخابية لمرشي الرئاسة الإيرانية عام ٢٠٠٩ كان المشهد الإيراني يفتح بصورة علنية على نقاش لم تعتده إيران من قبل. وبموازاة المناظرات التي جمعت بين المرشحين الأربعة، كانت مناظرات أخرى تجري في الشوارع وأقطابها، مواطنون أغلبهم من الفئة الشابة يتبادلون الاتهامات ويدافعون عن مرشحهم بعناد. كانت السياسة الخارجية و«دعم المقاومة» محوراً في مناظرات الشوارع تلك، فأمام مبنى الإذاعة التلفزيون الذي شهد المناظرة غير المسبوقه بين نجاد ومير حسين موسوي، كان شباب من أنصار الطرفين يعقدون مناظرة أكثر حدة.

«موسوي سيوقف نهب مال الإيرانيين وإعطائه للأخريين في الخارج، فالمصباح الذي يحتاجه البيت حرام على الجامع». كان أصحاب فلسفة المصباح الذي يحرم على الجامع _ وهو موقف يدافع عنه كثيرون في إيران اليوم- يعبرون عن وجهة نظر ترى أن مشكلاتهم أولى بالدعم الذي تقدمه الحكومة الإيرانية لحركات المقاومة في فلسطين ولبنان. هذه الجدالات سبقها أيام شعار كرهه مير حسين موسوي وأثار الكثير من النقاش في إيران عندما أكد خلال جولة إنتخابية له أنه «لا يجوز الحديث عن عزة لبنان وفلسطين وتجاهل عزة إيران» في إشارة إلى أن الوفاء بحاجات الشعب الإيراني أولوية تتقدم على غيرها. في مقابل ذلك تقف فئة لا يستهان بها جملها من أنصار نجاد مدافعة عن رأي آخر ينبع من موقف الإمام الخميني ترى «لا يمكن النظر إلى نضال الفلسطينيين و اللبنانيين على أنه موضوع خارجي».

حسنت الإنتخابات في إيران ولم يحسم الجدل، و جرى اتهام لحماس و حزب الله بإرسال قوات مدربة قامت بقمع المحتجين في شوارع طهران. تكررت المواجهة في يوم القدس عام ٢٠٠٩، لكنها إتخذت هذه المرة صورة أكثر وضوحاً وأشد صدامية و جاء الشعار "لا غزوة ولا لبنان روجي فداء إيران" ليتردد لأول مرة في إيران بعد أن بقي شعار "الموت لإسرائيل" يتردد لثلاثين عاماً. لاقى الشعار انتقاداً حاداً، ثم ما لبث أن وصفه موسوي نفسه بأنه لم يكن مناسباً، و تبع ذلك مراجعة إصلاحية للشعار ليأتي الشعار المعدل "نعم لغزة، نعم للبنان روجي فداء إيران".

ورغم أن جدل العلاقة بين إيران و حركات المقاومة ليس جديداً، لكنه بلا شك إتخذ أبعاداً جديدة في مرحلة "إيران نجاد" فإيران اليوم لا تنكر سعيها الطموح للحصول على إقرار عالمي وإقليمي بشرعية دورها في المنطقة باعتبارها لاعباً رئيساً لا يمكن تجاوزه او تجاهله. يأتي ذلك متزامناً مع سعي إيراني لإجهاض المشروع الأمريكي في المنطقة بما في ذلك العملية السلمية ويتخذ ذلك أشكالاً عدة أكثرها وضوحاً تقديم الدعم لحركات المقاومة في لبنان ممثلة في حزب الله و فلسطين ممثلة في وحماس و الجهاد الإسلامي.

استناداً إلى ماسبق تطرح هذه الورقة مجموعة من الإستئلة على عدد من المحاور في مقدمتها المحور الداخلي الإيراني، و محور حركات المقاومة.

وبالنسبة للمحور الإيراني: تحاول هذه الورقة رسم خارطة لأطياف الموقف الشعبي في إيران من "قضية فلسطين ودعم المقاومة"، وتقرن ذلك بالخطاب الرسمي، والسياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية. وتعالج الورقة تفاصيل التجاذب الذي شهدته إيران على هذا الصعيد وأبعاد وتأثيرات طرح التيار المحافظ والتيار الإصلاحي وما يسمى بـ "الحركة الخضراء" من خلال تحليل لمحتوى خطاب من منظري هذه التيارات فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية على وجه الخصوص، والأطر المرجعية للثورة وما تنادي به من "حماية المستضعفين" ومواجهة "الإستكبار" بشكل عام.

في المحور الثاني تبحث هذه الورقة شكل العلاقة مع إيران من وجهة نظر حركات المقاومة نفسها (حزب الله وحماس والجهاد الإسلامي)، وإن كان الإرتباط والعلاقة المذهبية بين إيران وحزب الله يعطي ارضية واسعة لتفسير خصوصية العلاقة وقوتها، إلا أن حزب الله وحركات المقاومة السنية في فلسطين يشتركون جميعاً فيما يوجه لهم من إتهامات تصفهم بـ "وكلاء إيران ومنفذي سياستها في المنطقة". وي طرح من يوجه أصابع الإتهام اسئلة تتعلق بدور إيران في العراق وموقفها من المقاومة فيها، ويرى أصحاب هذا الإتجاه أن حركات المقاومة تجامل إيران على حساب العراق. وتختبر الباحثة من خلال مقابلات و اسئلة وجهتها إلى ذوي علاقة بالقضية صدق مقولة "الخطر الإيراني الشيعي" التي يجري الترويج لها بواسطة أنظمة عربية تحاول من خلاله ردّ الاعتبار للتحالف التقليدي بين الدول السنية المحافظة والإدارات الأميركية.

وتقوم القوى الإسلامية السنية الراضية لعملية التسوية السلمية، وعلى وجه التحديد حركة الجهاد الإسلامي الفلسطيني، وهي حليف قديم لإيران، وحركة حماس، التي تنتمي في فكرها وجذورها إلى جماعة الإخوان المسلمين بإعادة صياغة للخطاب الثوري الإيراني فيما يتعلق بالصراع مع إسرائيل بلغة تستعيد أبعاداً ايديولوجية ولدت مع الخطاب السياسي للثورة الإيرانية منذ البدايات وترافقت معه إلى اليوم. لكن هذا التحالف لا ينظر إليه معزولاً عن الأجندة السياسية الإيرانية وتعريفها لمصالحها القومية بصورة رئيسة. وي طرح خيار المصالح هذا بالرغم من أنّ القضية الفلسطينية شكلت على الدوام جزءاً رئيساً من الخطاب السياسي للثورة الإسلامية، بصورة متوازنة مع معاداة إسرائيل والسياسة الأميركية تجاه فلسطين، وهو ما انعكس بدعم الحركات التي تعارض هذه السياسة.

في فلسطين المحتلة؛ تعتبر حركة الجهاد الإسلامي الحليف التقليدي الأقرب إلى طهران، وذلك يعود إلى بداية ونشأة هذه الحركة. لاتنكر الحركة تأثيرها الشديد بفكر الخميني، ويظهر ذلك جلياً في فكر مؤسسها والأمين السابق لها الشهيد فتحي الشقاقي، مؤلف كتاب "الخميني.. الحل الإسلامي والبديل"، فالكتاب الذي جاء بعد مدة قصيرة من انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية لا يخفي إعجاب الشقاقي بالثورة الإسلامية بل يرى إمكانية تطبيقها في فلسطين، وعقّب الشقاقي على انتصار الثورة الإيرانية بقوله:

"كنا نعتقد قبل... الخميني أنه لا يمكن هزيمة العدو المستكبر وإزالة الكيان الصهيوني، لكن الخميني بقيادته لهذا الانتصار للإسلام العظيم في القرن العشرين أعطانا الأمل بأن الإسلام الذي أسقط الشاه يمكن أن يسقط بقية الشاهات ويحرر فلسطين".

والحقيقة أن فكر حركة الجهاد الإسلامي أجرى عملية مزاجية بين فكر حسن البنا الإصلاحي وفكر الخميني الثوري ولذلك لا يمكن إغفال مرجعيتها التي يعود جذورها إلى حركة الإخوان المسلمين إلى جانب مرجعية الثورة الإسلامية، وربما يعود ذلك إلى القراءة المختلفة التي قدمها الشقاقي للفكر الشيعي. أما العلاقة بين حركة حماس وإيران فهي أكثر حداثة وتعود في تاريخها إلى التسعينيات من القرن الماضي، لكن السنوات الخمس الأخيرة شهدت توثيقاً لعري العلاقة بين الجانبين وانعكس ذلك على دعم مالي ولوجستي كبير قدمته إيران للحركة التي تعاني من التضيق والمحاصرة عربياً. وتصنف العلاقة مع حماس بأنها أكثر تعقيداً من حزب الله، إذ تعتبر حماس أحد أبرز فروع الإسلام السياسي السني في المنطقة، وامتداداً لجماعة الإخوان المسلمين السنية الكبرى، لكن ذلك التعقيد لم يجعل حماس تسلم من الإتهام، ولأحقتها عناوين مثل :

- (الحماسيون) دعاء نشر (التشيع) في فلسطين... فاللهم انتقم منهم شر انتقام.
- حماس والعلاقة مع الشيعة ومشعل يحتفل بطقوس عاشوراء مع الشيعة في لبنان.
- مشعل يعلن أن حماس الابن الروحي للإمام الخميني.
- حماس والتشيع السياسة قراءة في الخطاب.
- الإخوان- حماس وإيران والسؤال الحائر.
- حتى لاتجد إيران موطئ قدم لها بغزة.
- ظاهرة الرفض في فلسطين- تقرير ميداني انفلونزا التشيع الفارسي في فلسطين.
- الشيعة وفلسطين: مازال الاختراق مستمراً.
- المخطط الإيراني لتشيع فلسطين بدأ بإعلان مشعل.
- ماذا تعني كلمة شيعه في غزة؟

تعتقد هذه الورقة أنه لا يوجد توجه واحد فيما يتعلق بموضوع المقاومة والقضية الفلسطينية داخل الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وترصد الورقة عدد من هذه التوجهات يمكن إجمالها في التالي:

- توجه يعكس سياسة إيران تجاه فلسطين وموقفها المعادي لإسرائيل، ويعد هذا التوجه استمراراً للسياسة التي رافقت البدايات الأولى للثورة وبلغت ذروتها مع انتصارها وقيام الجمهورية الإسلامية بقطع العلاقات مع إسرائيل، ويرى أصحاب هذا التوجه في حماس الحركة الأقرب فيما يتعلق بالموقف من الإحتلال مقارنة بحركة فتح، كما يرون أن وجود مشتركات دينية و ايديولوجية مع حماس يقتضي تقديم الكثير من الدعم لها.

- توجه لاينكر عداؤه لكل ما يمت إلى العرب بصلة، ويرى أصحابه أن جميع مصائب إيران منذ قرون و حتى اليوم تعود في علتها إلى انتصار العرب على الساسانيين. ومن هذه الزاوية يناصبون حركات المقاومة العدا و على النقيض من ذلك لا يحمل أصحاب هذا التوجه موقفا معاديا لإسرائيل، بل و يرون أن إيران "ليس لديها مشكلة مع اسرائيل وإنما هم العرب من لديهم هذه المشكلة". لا يتوقف أصحاب هذا التوجه عن الحديث عن الدعم المالي الموجه للبنان و فلسطين و يرون أنه "مال الشعب الإيراني تسرقه الحكومة وتعطيه للفلسطينيين".

- توجه يشارك التوجه السابق في مسألة أولوية توجيه الدعم المالي لإيران داخليا من مبدأ أن "فقراء إيران أحق بالدعم" و شعارهم "المصباح الذي يحتاجه البيت يحرم على المسجد". يحمل أصحاب هذا التوجه نظرة سياسية واقعية نحو إسرائيل و رغم أنهم يرونها دولة معتدية، إلا أنهم يؤمنون بخيار التسوية و لذلك لا يعتبرون حماس هي الخيار الأفضل إلا إذا قبلت بعملية التسوية، و يفضلون توجيه الدعم السياسي لفتح.

- وهناك توجه رابع يتبناه الحداثيون و بعض العلمانيين الذين يناصبون الجمهورية الإسلامية العدا و لوصفهم إياها بالمعادية للديمقراطية و الحداثة، و قياسا عليه ينظر أصحاب هذا التوجه إلى حركات المقاومة الإسلامية بأنها تحمل فكريا دينيا متحجرا، و ينقسم هذا التيار إلى قسمين الأول يوجه الإدانة لحماس و اسرائيل على حد سواء لأنهما "ينتهكان حقوق الإنسان" والثاني يحجم عن اي نقد لإسرائيل لأنه يرى فيها حليفا طبيعا لقوى الليبرالية و دولة ديمقراطية متقدمة.